العدوان الثلاثي على مصر
في العام ١٩٥٦

كلمة شكر

إلى

الأستاذ محمد سعيد طيب

عضو مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية

لتمويله إصدار خمس كرّاسات

من سلسلة «أوراق عربية»





مركز دراسات الوحدة العربية

شؤون أمنية واستراتيجية (٢)

العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦

اللواء طلعت أحمد مسلم

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

مسلم، طلعت أحمد

العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦/ طلعت أحمد مسلم.

٣٢ ص. - (أوراق عربية؛ ١١. شؤون أمنية واستراتيجية؛ ٢)

ببليوغرافية: ص ٣٢.

ISBN 978-9953-82-436-9

١. مصر - تاريخ - جمال عبد الناصر. أ. العنوان. ب. السلسلة.

962.053

العنوان بالإنكليزية

The 1956 Tripartite Hostilities against Egypt

Tal'at Ahmad Muslim

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: ٦٠٠١ - ١١٣

الحمراء - بيروت ٢٠٣٤ ٢٤٠٧ - لبنان

تلفون: ٧٥٠٠٨٤ - ٧٥٠٠٨٥ - ٧٥٠٠٨٦ - ٧٥٠٠٨٧ (٩٦١١+)

برقياً: «مرعربي» - بيروت، فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)

e-mail: info@caus.org.lb

Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى

بيروت، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١١

المحتويـات

مقدمة

تعرّضت مصر بصفة خاصة، والوطن العربي عامة، لعدوان مسلح في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٦، قام به تحالف، ضمّ كلاًّ من بريطانيا العظمى وفرنسا وإسرائيل، وكان من الواضح التفاوت الشاسع بين قوى طرفي الصراع الذي انتهى بفشل قوى العدوان في تحقيق أهدافها بعكس ما تشير إليه موازين القوى، مما يدفع إلى استعادة الأحداث لمحاولة استخلاص الدروس منها وتوضيحها للأجيال التالية من طالبي العلم في إدارة الصراعات المشابهة. وتوفير قاعدة المعطيات الفكرية التي قد لا يتاح تحصيلها من الكتب الدراسية والدراسات للشباب.

يتطلب ذلك توضيح الظروف التي أدت إلى هذا الحدث الهام، ثم خطط الجانبين في خطوطها العامة والرئيسية، ثم سير العمليات، مع التركيز على الاختلافات في التخطيط وأسبابها، ثم البحث عن المبادئ التي طبقت والتي أهمل تطبيقها، وأخيراً الدروس المستفادة من إدارة الصراع.

ولقد تميّز الصراع في العدوان الثلاثي بالتداخل الشديد بين العمل السياسي والدبلوماسي والعسكري، ربّما على نحو لم يظهر في أغلب، إن لم يكن كل، الصراعات الأخرى، لذا فإن توضيح تكامل هذه الجوانب في إدارة الصراع يعتبر من أهم ما يمكن الخروج به من دراسة العدوان الثلاثي على مصر.

أولاً: الظروف السابقة للعدوان والمؤدية إليه

١ ـ الحرب الباردة وصعود الدور الأمريكي والسوفياتي على حساب الأدوار البريطانية والفرنسية

بدا واضحاً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أن النظام العالمي يتغير،

وأصبح للعالم قطبان عالميان يمتلكان قنابل نووية، وأن أوروبا أصبحت في حاجة إلى حماية مظلة نووية أمريكية، وهكذا قام حلف شمال الأطلسي بزعامة الولايات المتحدة، وقام مقابله حلف وارسو بزعامة الاتحاد السوفياتي. وأصبحت بريطانيا التي كانت تحتل مصر غير قادرة على تحمل التزاماتها حيال المستعمرات ومناطق النفوذ، كما ينطبق الأمر بدرجة أكبر على فرنسا، وكانت الولايات المتحدة مستعدة لتولي المسؤوليات بدلاً منهما بمنطق الإزاحة الإمبراطوري، وراحت تطوّق الاتحاد السوفياتي وأصدقاءه بحزام من الأحلاف العسكرية. ولملء الفجوة بين حلف الأطلسي وحلف جنوب شرق آسيا في منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي أصبحت استراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة تستهدف ضمان السيطرة الاقتصادية وإقامة حلف عسكري موالٍ للغرب. ولم يكن في إمكان بريطانيا إلا أن تحاول الاستفادة من الولايات المتحدة مع الاحتفاظ بأكبر قدر من المزايا التي تسمح بها الولايات المتحدة. وحرصت الولايات المتحدة على الاحتفاظ بفاصل بينها وبين حلفائها بما فيهم بريطانيا وفرنسا لتأكيد زعامتها، في حين عمل الاتحاد السوفياتي على كسر الحصار حوله بتأييد الشعوب التي تسعى إلى التخلص من الاستعمار الغربي.

٢ ـ ثورة يوليو

يرتبط العدوان الثلاثي على مصر بدرجة كبيرة بثورة مصر في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢، حيث رفضت مصر الثورة الدخول في أحلاف، وحاربت حلف بغداد عند إعلانه في ١٢ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٥، وكان دورها هاماً في مؤتمر باندونغ في نيسان/ أبريل ١٩٥٥، الذي أيد حقوق الشعب الفلسطيني، وطالب بحق تقرير المصير لكلّ من تونس والجزائر والمغرب. ودعا المؤتمر إلى تسوية سلمية لقضايا محميات الخليج وتأييده موقف اليمن منها، بالإضافة إلى رفض سياسة الأحلاف، والاتفاق على انتهاج سياسة عدم الانحياز والحياد الإيجابي والتعايش السلمي، وأعلن أن مصر اشترت أسلحة من الاتحاد السوفياتي في ١٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٥ على أثر الإغارة الإسرائيلية على غزة في ٢٨ شباط/ فبراير ١٩٥٥. ولقد تم جلاء القوات البريطانية عن

مصر في حزيران/ يونيو ١٩٥٦ تنفيذاً لاتفاقية الجلاء التي أمكن التوصل إليها في عام ١٩٥٤ بعد مباحثات مطولة وبعد اندلاع حركات المقاومة المسلحة ضد القوات البريطانية التي كانت تتمركز في قاعدة قناة السويس، ولقد حاولت كلٌّ من الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل ربط الجلاء البريطاني عن مصر بربط مصر بنظام دفاعي عن الشرق الأوسط، وبإقامة سلام بين مصر وإسرائيل، والسماح للملاحة الإسرائيلية بالمرور خلال قناة السويس ومضايق العقبة، ولكنها فشلت، مما أقنع هذه الدول بضرورة التخلص من النظام الثوري في مصر ممثلاً في رئيسه جمال عبد الناصر.

٣ ـ سحب تمويل السد العالي

قررت حكومة الثورة المصرية إنشاء سد للتخزين الدائم لمياه النيل لتوسيع الناتج الزراعي رأسياً وأفقياً لمواجهة الزيادة السريعة في عدد السكان، ولإنتاج كمية كبيرة من الطاقة الكهربائية لتشغيل خطة التصنيع، ولرفع كفاءة الإنارة، ولوقاية البلاد من أخطار الفيضانات والجفاف. وقد لجأت مصر إلى البنك الدولي، وطلبت منه قرضاً قيمته ٢٠٠ مليون دولار لتمويل إنشاء السد. طالب البنك بالإشراف على النفقات العامة ومنع الحكومة من اقتراض أي مبالغ جديدة بما يعني منعها من شراء أسلحة لمواجهة أي عدوان. ولما طلبت مصر شراء أسلحة من الكتلة الشرقية لمواجهة أي عدوان إسرائيلي محتمل بعد أن زود الغرب إسرائيل بأسلحة، سحبت الولايات المتحدة عرضها بالمساهمة في تمويل المشروع، وتلا ذلك سحب البنك الدولي عرضه لتمويل إنشاء السد، الأمر الذي أدى إلى قرار مصري بتأميم قناة السويس لتحقيق القدرة على تمويل المشروع.

٤ ـ الصراع في الجزائر

قام صدام بين مصر وفرنسا نتيجة قيام مصر بإمداد الثوار الجزائريين بالسلاح والدعم المعنوي. ورأت فرنسا، بعد فشلها في إخماد الثورة في الجزائر، وبعد استقلال تونس والمغرب، أن حل مشكلة الجزائر لن يكون إلا

في القاهرة، وأن انهيار نظام الحكم الثوري في مصر وإسقاط جمال عبد الناصر يؤدي إلى انتصار فرنسا في الجزائر، كما أن فرنسا تعاطفت مع إسرائيل في كره العرب، ومناهضة القومية العربية، وأمدّت إسرائيل، بموافقة الولايات المتحدة الأمريكية، بالأسلحة من دبابات ومدافع وطائرات.

٥ ـ تحالفات عربية بين مصر وسورية والسعودية واليمن والأردن

بعد قيام العراق برئاسة نوري السعيد بتوقيع اتفاق عسكري مع تركيا تمهيداً لتوقيع حلف مع باكستان وبريطانيا والولايات المتحدة، وبعد العدوان الإسرائيلي على غزة في ٢٨ شباط/ فبراير ١٩٥٥ الذي أوقع خسائر كبيرة في حامية غزة، ثم في نيسان/ أبريل ١٩٥٥ وهو أكبر منه، عقدت اتفاقات دفاع مشترك ثنائية بين كلّ من مصر وسورية، وبين مصر والعربية السعودية (كانت على عداء مع النظام الهاشمي في العراق والأردن) وانضم إلى الاتفاق اليمن. وفي أول آذار/ مارس ١٩٥٦ أنهى الملك حسين ملك الأردن خدمة الجنرال باغوت غلوب باشا البريطاني الجنسية، الذي كان يشغل منصب رئيس أركان حرب الجيش الأردني وقائد الفيلق العربي، وهو ما أثار حنق رئيس الوزراء البريطاني أنتوني إيدن والرأي العام البريطاني. وبدا الأردن قريباً من الموقف المصري، خاصة بعد الغارة الإسرائيلية على مركز قيادة الفرقة الأردنية يوم ١٤ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٦، والهجوم الإسرائيلي على موقع أردني بجوار القدس في ٢٦ أيلول/ سبتمبر، ثم الهجوم على مركز قلقيلية الأردني. حاولت بريطانيا والولايات المتحدة عزل مصر عن العربية السعودية وسورية حتى تستمر سيطرتها على المنطقة، ولكنها فشلت في ذلك، خاصة بعد أن قامت مصر بخطوات نشيطة لقطع الطرق أمام محاولات الدسّ بينها وبين الدول العربية.

٦ ـ تأميم قناة السويس

تأثرت القيادة المصرية برفض الولايات المتحدة المشاركة في تمويل بناء

السد العالي، وبأسلوب الرفض بصفة خاصة، حيث قصدت إهانة الاقتصاد المصري والتشكيك في قدرة مصر على سداد ديون التمويل اللازمة، وعملت مصر أولاً على إيجاد وسيلة بديلة لتوفير التمويل اللازم بالاعتماد على مواردها، وفي نفس الوقت ترد الإهانة التي وجهتها لها الولايات المتحدة والبنك الدولي، وقد هداها هذا إلى أن تأميم قناة السويس يحقق هذه الأهداف باعتبار أن القناة موجودة داخل أراضي مصر، وأن مصر مسؤولة عن حمايتها، وهو ما أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه الذي ألقاه في الإسكندرية في ٢٦ تموز/ يوليو عام ١٩٥٦ بعد تقدير موقف توصل إلى أنه ليست لدى بريطانيا قوات جاهزة كافية للقيام بعمل عسكري فوري ضد مصر بما قد يسمح لمصر باستغلال الزمن في امتصاص الغضب البريطاني، واستبعد تقدير موقف الرئيس جمال عبد الناصر احتمال تحالف بريطانيا مع أطراف أخرى مثل فرنسا وإسرائيل. حصل قرار التأميم على تأييد شعبي هائل في مصر وسائر البلاد العربية، وأيدته حكومات سورية والسعودية والأردن، وأيد رئيس وزراء لبنان السيد عبد الله اليافي حق مصر في تأميم القناة، وأعلنت الحكومة العراقية فيما بعد تأييدها، وحذا رئيس وزراء ليبيا حذو الحكومة العراقية، في حين كان رد الفعل السوفياتي هادئاً بتأييد القرار، وبأنه يجب العمل على إيجاد حل سلمي، وكان رد الفعل البريطاني والفرنسي والإسرائيلي سلبياً وعصبياً، بينما رأت السياسة الأمريكية أن لمصر الحق القانوني في تأميم قناة السويس، واختلفت الدول الغربية حيال الحق. ولكن كان هناك شعور بالعجز عن القيام بعمل سريع ومؤثر.

قدّمت بريطانيا وفرنسا مذكرة احتجاج إلى مصر تجاهلتها مصر، وتوقفت بعض السفن عن دفع الرسوم ولم توقف مصر الملاحة، جمّدت بريطانيا وفرنسا أرصدة مصر وودائعها في البنوك البريطانية والفرنسية. دعت بريطانيا وفرنسا إلى مؤتمر لندن يعقد يوم ١٦ آب/ أغسطس ١٩٥٦ في لندن، تحضره أربع وعشرون دولة بحرية، بينها مصر، وقد رفضت مصر حضور المؤتمر، بينما بدأت اتصالات إسرائيلية في استكشاف فرص التعاون مع بريطانيا وفرنسا عسكرياً. اجتمعت ٢٢ دولة في مؤتمر لندن، وغاب من

المدعوين كلٌّ من مصر واليونان، واستبعدت إسرائيل من الدعوة من قبيل التمويه. قرر مؤتمر لندن إرسال لجنة برئاسة روبرت منزيس رئيس وزراء أستراليا لتقديم بيان، وافق عليه المؤتمر بمقترحات بعزل قناة السويس عن سياسة أية دولة، وإنشاء إدارة دولية لقناة السويس، وانتهت مهمة اللجنة بالفشل بعد إصرار الرئيس عبد الناصر على موقفه بالتمسك بسيادة مصر على القناة.

اقترح جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة أن يعهد إلى جمعية المنتفعين بالقناة، وهي ثماني عشرة دولة صوتت لمشروع التدويل في لندن بتنظيم الملاحة لإدارة القناة في حال فشل مهمة لجنة منزيس، وينص المشروع على التعاون بين مصر والهيئة الجديدة وعلى استخدام مرشدي القناة وموظفي الشركة القديمة، على أن تقيم الهيئة الجديدة مكاتبها على ظهر سفينتين ترسوان في كل طرف ويجري عليها دفع الرسوم، على أن تدفع الأرباح لمصر في ما بعد في حال إثارة مصر للصعوبات.

طلبت شركة قناة السويس المؤمّمة من المرشدين الأجانب (١٦٦ مرشداً، منهم ٦١ بريطانياً و٥٣ فرنسياً) التوقيع على بيان يعلنون فيه رغبتهم في العودة إلى أوطانهم، متصورة أن هذا يؤدي إلى إغلاق الملاحة بالقناة بما يبرر للأساطيل الفرنسية والبريطانية احتلال القناة، فقامت مصر بتجميع أكبر عدد من المرشدين، وفي ١٠ أيلول/ سبتمبر أعلنت عن تعيين ٥٦ مرشداً جديداً، منهم ٤٧ مصرياً، و٥ من اليونان ونرويجي وإيطالي، وسويدي وألماني، كما وصل يوم ٦ أيلول/ سبتمبر ١٥ مرشداً سوفياتياً إلى بورسعيد، وفي ١٦ أيلول/ سبتمبر عبرت القناة ٤٢ سفينة بواسطة مرشدين مصريين بعد انسحاب المرشدين الأجانب، ولم تتأثر حركة الملاحة في القناة.

اجتمعت وفود الدول المشتركة في إنشاء جمعية المنتفعين بالقناة في قصر لانكستر يوم ١٩ أيلول/ سبتمبر، وانفضّ المؤتمر يوم ٢٣ أيلول/ سبتمبر في جوٍّ من الغموض، بعد أن اتفقت الدول الحاضرة على أن تبدأ مزاولة أعمالها في بداية شهر تشرين الأول/ أكتوبر في لندن. أبلغت بريطانيا وفرنسا مجلس

الأمن بالقضية، وبدأ اجتماع المجلس يوم ٥ تشرين الأول/ أكتوبر، وقدمت فيه بريطانيا وفرنسا اقتراحات بمشروع قرار وفق قرارات لجنة الثماني عشرة، ورفضت مصر المقترحات، وأوصت بإنشاء هيئة للمفاوضات على أساس الحرية التامة للملاحة في القناة، وإقامة نظام يشترك فيه المنتفعون مع الإدارة المصرية. وافق مجلس الأمن على مبادئ ستة أساساً للتفاوض بين مصر وبريطانيا، تتلخّص في: أن يكون المرور في القناة حراً ومباحاً للجميع بدون تمييز أوتفرقة، ووجوب احترام سيادة مصر، وتأكيد استقلال إدارة القناة عن سياسة أي دولة، والاتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة على تحديد رسوم المرور، وتخصيص نسبة عادلة من الرسوم المحصَّلة لتحسين القناة، وإجراء تحكيم بالنسبة إلى المسائل المعلقة بين الشركة العالمية والحكومة المصرية، بينما رفض المجلس تدويل القناة حيث استخدم الاتحاد السوفياتي حق الاعتراض عليه، بالإضافة إلى معارضة يوغوسلافيا.

٧ ـ التخطيط للغزو

بعد صدور قرار التأميم وجّه رئيس الوزراء البريطاني على الفور رؤساء أركان حربه إلى العمل على تحقيق هدفين هما: السيطرة على قناة السويس وإسقاط الحكم في مصر، وقد اتضح عدم وجود احتياطي بريطاني قريب، مما دعا إلى التعاون البريطاني الفرنسي حيث لم تكن هناك قوة فرنسية جاهزة. بدأ التنسيق بين بريطانيا وفرنسا وتكوين قواتهما وسحب بعض القوات من ألمانيا، وبدأ حشد قوات العدوان في قبرص ومالطة لعدم كفاية قواعد قبرص لحشد القوات، وفي آب/ أغسطس فكر الفرنسيون في إشراك إسرائيل، وكانت إسرائيل راغبة في عمل عسكري ضد مصر بهدف فتح الممرات الملاحية أمامها. عقد اجتماع فرنسي بريطاني إسرائيلي في باريس للتنسيق بين الدول الثلاث بعد أن تأكد عجز إسرائيل وفرنسا عن القيام بالعمل بدون بريطانيا. قدمت إسرائيل طلباتها من الأسلحة، وبدأت في التخطيط لعملية إسرائيلية باسم «قادش»، وفي ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر عقد في قرية «سيفر» في ضواحي باريس اجتماع ضم كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا وبن

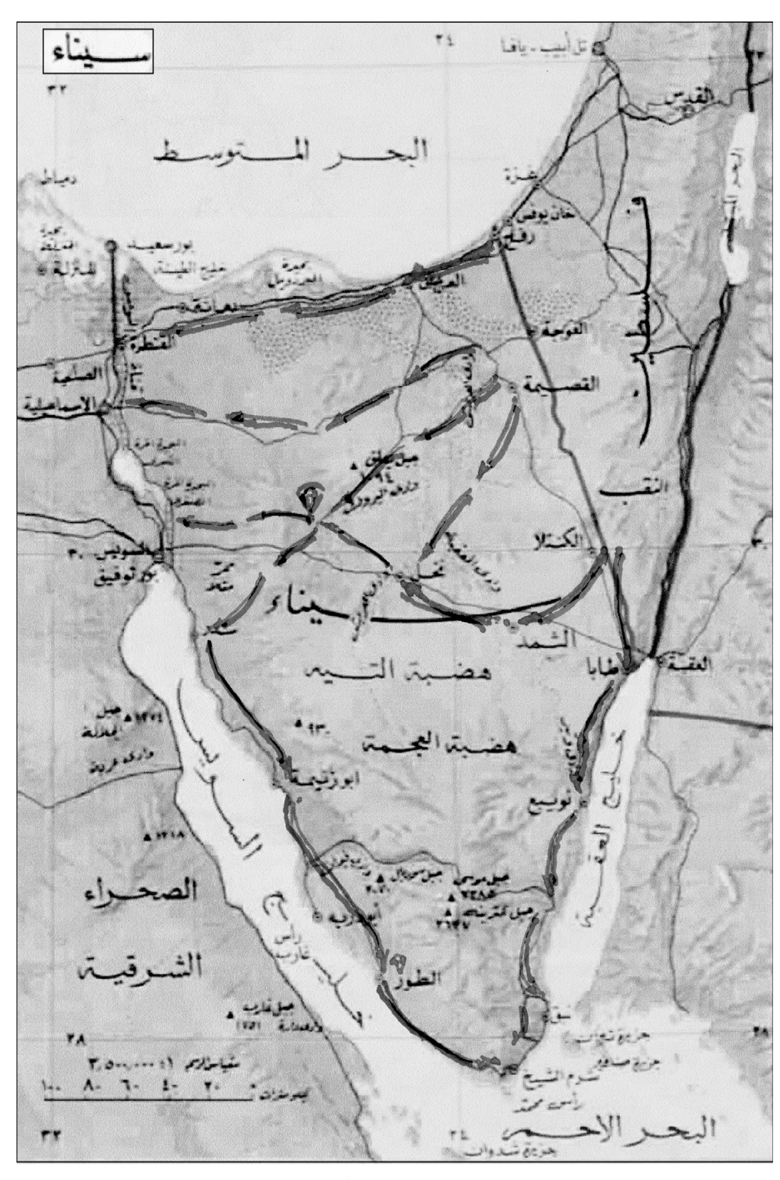
غوريون رئيس وزراء إسرائيل وموشي ديان رئيس الأركان الإسرائيلي وسلوين لويد وزير خارجية بريطانيا، واتفقوا على مبادئ ونصوص الاتفاق. اشتملت نصوص الاتفاق على أن تشن القوات الإسرائيلية هجوماً واسع النطاق على القوات المصرية مساء ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٦ بهدف الوصول إلى منطقة قناة السويس في اليوم التالي، ثم توجه الحكومتان البريطانية والفرنسية بعد معرفتهما بهذه التطورات يوم ٣٠ تشرين الأول/ أكتوبر نداء بالتوازي إلى الحكومتين المصرية والإسرائيلية يطالب بوقف إطلاق النيران إيقافاً تاماً، وسحب القوات المسلحة إلى مسافة ١٠ أميال بعيداً عن قناة السويس، والقبول بصفة مؤقتة باحتلال المواقع الرئيسية على القناة بواسطة قوات بريطانية فرنسية لضمان حرية المرور في القناة لكل البواخر من كل الأمم وإلى حين الوصول إلى ترتيبات نهائية ومضمونة، وتقبله إسرائيل بدون أن تنفذه؛ وفي حال عدم استجابة الحكومة المصرية إلى شروط النداء تقوم القوات الجوية البريطانية والفرنسية بالهجوم على القوات الجوية المصرية في الساعات الأولى من ٣١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٦ وهي جاثمة على الأرض، وتستمر في ذلك طيلة وقت العمليات، وللحكومة الإسرائيلية أن تبعث بقواتها لاحتلال الشواطئ الغربية لخليج العقبة وجزر تيران وصنافير لضمان حرية الملاحة في الخليج.

ثانياً: أوضاع وخطط الجانبين

١ ـ خطط العدوان

بدأ التخطيط البريطاني للعدوان على مصر بعد خطاب تأميم القناة مباشرة بالخطة «٧٠٠» التي وضعت يوم ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٥٦، وهي خطة بريطانية للعدوان المنفرد على مصر باتجاه هجوم رئيسي هو الإسكندرية ـ القاهرة، ورفضت الخطة يوم ٨ آب/ أغسطس لعدم وجود قوات غزو جاهزة ومستعدة للقيام بضربة سريعة؛ وتلتها الخطة «هاميلكار» التي تعدلت إلى الخطة «موسكتير» وهي خطة بريطانية ـ فرنسية مشتركة واتجاه هجومها

الرئيسي هو الإسكندرية ـ القاهرة، وقد وضعت يوم ١٥ آب/ أغسطس على أن تنفذ يوم ١٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٦، وكان رئيس الوزراء البريطاني قد رفض اقتراحاً فرنسياً بإشراك إسرائيل، وألغيت الخطة بدورها يوم ١٤ أيلول/ سبتمبر من نفس السنة؛ وتعدلت الخطة «هاميلكار» بالخطة «موسكتير المعدلة» وهي أول خطة تواطؤ ترتبط بهجوم إسرائيلي وتحول الاتجاه الرئيسي للهجوم إلى بورسعيد ـ السويس ـ القاهرة، وقد وضعت يوم ١٤ أيلول/ سبتمبر لتنفذ يوم ٢٦ أيلول/ سبتمبر، وأخيراً وضعت الخطة «موسكتير المعدلة النهائية» التي تقوم على إخفاء التواطؤ الإسرائيلي ـ البريطاني ـ الفرنسي لما بعد الهجوم الإسرائيلي بمعاونة بحرية جوية بريطانية وفرنسية، وتحت حماية جوية فرنسية لفضاء إسرائيل الجوي، لاستدراج قوات مصر إلى شرك في سيناء بإبرار جوي في منطقة صدر الحيطان، يلحق بها رتل بري على محور الكونتلا ـ التمد ـ نخل ـ صدر الحيطان، وإبادة القوات المصرية ومطاردتها في سيناء بالقوات الإسرائيلية بمعاونة جوية وبحرية بريطانية فرنسية، وتستولي على سيناء، وخلق حالة صراع مسلح قرب ضفة القناة، يشكّل ذريعة لبريطانيا وفرنسا للتدخل للقيام بغزو بحري بعد تمهيد جوي مركز لإسكات القوات المدافعة عن بورسعيد وبورفؤاد بالتعاون مع قوات إنزال جوي بفرقة مظلات فرنسية في بورفؤاد، ولواء مظلات مستقل بريطاني لبورسعيد، والاستيلاء على بورسعيد وبورفؤاد بإنزال بحري بألاي (فوج) مدرّع ولواء كوماندوز بحري بريطاني، ثم تطوير الهجوم بعمل مشترك في اتجاه بورسعيد ـ الإسماعيلية، ثم تطور القوات البريطانية هجومها بقوة فرقة بريطانية إلى أبو صوير والقوات الفرنسية بألاي (فوج) ميكانيكي فرنسي إلى السويس، ثم بضربة ذات شعبتين من أبوصوير والسويس في اتجاه القاهرة، وتسقط الحكم الوطني القائم، وذلك وفقاً لتماسك الجبهة الداخلية المصرية، حيث تخفف المهام بمهام محدودة وجرعة التمهيد الجوي مخففة في حال ما تكون المقاومة محدودة، بينما يكون التمهيد الجوي عنيفاً والغزو كاملاً وبكامل القوات والمهام العميقة في حال ثبات مصري.



الهجوم الإسرائيلي في سيناء ١٩٥٦
العملية قادش

الهجوم البريطاني الفرنسي بمنطقة قناة السويس ١٩٥٦

الخطة موسكتير

تشكّلت قوات العدوان الإسرائيلي من ٩ مجموعات لواء مشاة، ومجموعة لواء مظلات، و٣ مجوعات لواء مدرع، و١٦ كتيبة مدفعية ميدان ومتوسطة ومضادة للدبابات، ومضادة للطائرات، و٤ كتيبة نحال، و٦ فرقاطة، و٢٢ زورق طوربيد، و١٧ زورق إنزال، و٣ سفينة حراسة، و٦ زورق ساحلي في المنطقة الجنوبية، وبقيت في الاحتياطي العام وتأمين الحدود الأخرى، و١٩٢ طائرة مقاتلة، و٥٠ قاذفة، و٣٣ طائرة نقل.

أما القوات البريطانية فكانت فرقة مشاة، و٢ مجموعة لواء مشاة مستقل، و١٠ كتائب مدفعية، ومجموعة لواء مظلات، ولواء كوماندوز بحري، وفرقة مدرعة، وألاي (فوج) مدرّع، ولواء سيارات مدرعة، و١٨ لواء مدفعية، وحوالى عشرة أسراب مقاتلات، و١٥ سرب قاذفات مقاتلة، و١٩ سرب قاذفات، و٧ أسراب نقل جوي، ونحو ٣ أسراب استطلاع، وسرب هليكوبتر اقتحام، وسرب إمداد جوي، وطائرات حاملات الطائرات التي شكلت ١٢ سرباً للهجوم الأرضي، و٢ رف استطلاع جوي ووحدة نقل. وأما القوات البحرية فاشتملت على ٥ حاملة طائرات، و٦ طراد، و١٤ مدمرة، و٧ فرقاطة، و٧ غواصة، و٩٤ سفن أخرى.

وتشكلت القوات الفرنسية من فرقة وكتيبة مظلات و٣ كتائب كوماندوز بحري ولواء خفيف، وقوات جوية من ٣ جناح مقاتلات، وجناح استطلاع جوي، و٣ جناح نقل جوي، و٣ سرب قاذفات مقاتلة من حاملات الطائرات؛ وقوات بحرية من بارجة، و٢ حاملة طائرات، و٢ طراد، و٤ مدمرة، و٨ فرقاطة، و٢ غواصة، وزوارق بحرية، و٨ سفينة نقل جند وإنزال ومكافحة غواصات ومساعدة، وعدد كبير من قوارب الإنزال.

٢ ـ التخطيط المصري

دعا الرئيس عبد الناصر يوم ٨ آب/ أغسطس ١٩٥٦ إلى اجتماع مع القادة العسكريين نوقشت فيه كل الاحتمالات، واتّخذ قراراً بالغ الأهمية بسحب القوات الرئيسية من سيناء لأن جبهة القتال المحتمل قد تغيرت، إذ

قدر أن الهجوم المنتظر سيكون بريطانياً فرنسياً قادماً عبر البحر المتوسط من قبرص ومالطة في اتجاه الإسكندرية أو بورسعيد، وخشي أنه في حال الهجوم على بورسعيد وقوات الجيش المصري موزعة بين سيناء ووادي النيل فإن القوات البريطانية الفرنسية قد تتمكن من قطع الاتصال بين قوات سيناء وقوات الوادي، وتصبح قوات سيناء معزولة تماماً، ويتعذر عليها الاشتراك في المعركة، كما أنها تصبح هدفاً سهلاً للتطويق، لذا أمر بعودة فرقتين من سيناء، إحداهما فرقة مدرعة والأخرى فرقة مشاة، وبقيت في سيناء ثماني كتائب مشاة فقط، منها سبع كتائب موزعة على مثلث أبي عجيلة ورفح والعريش، والثامنة في شرم الشيخ.

في أوائل أيلول/ سبتمبر ١٩٥٦ أعادت القيادة العامة المصرية تقديرها للموقف بعد اتضاح احتمال قيام الدول الغربية بعدوان على مصر، والتأكد من بدء تجمع قوات بريطانية فرنسية في مالطة وليبيا بأعداد كبيرة، فضلاً عن وجود قوات بريطانية في قبرص والعقبة والأسطول السادس الأمريكي في شرق البحر المتوسط، وبناء على تقدير القوات البريطانية الفرنسية التي تم حشدها واحتمالات تعزيزها، وقدرت أن العدو لا يستطيع أن يشن هجومه الرئيسي ضد الإسكندرية قبل مضي شهرين، وبالتالي فإنه سيضطر إلى تركيز مجهوده في اتجاه القناة. وتوقعت القيادة العامة أن يكون للعدو تفوق عددي عام على القوات المصرية في القوات البرية يصل إلى ثلاثة أمثال، وفي القوات البحرية هناك تفوق كامل في بعض العناصر، بينما يصل في المدمرات إلى عشرة أمثال، وبالنسبة إلى القوات الجوية يصل تفوق العدو في القاذفات إلى ١١ مثلاً، وفي القاذفات المقاتلة إلى ٢٥ مثلاً، ونحو عشرة أمثال أسراب الاستطلاع الجوي. لذا فقد تلخصت فكرة الخطة في:

تخفيف القوات بشبه جزيرة سيناء إلى الحد الذي يمنع إغراء إسرائيل من القيام بمغامرة سريعة لحسابها الخاص، وتركيز الجهود الرئيسية للدفاع بالتمسك بمنطقة القناة ـ الدلتا، وتعزز بالمقاومة الشعبية في الدلتا والمدن، وتوزع القوات الجوية في أكبر عدد من القواعد، وتعمل في تركيز كبير ضد

الأهداف الحيوية المعادية. وتعتبر منطقة مثلث بورسعيد ـ السويس ـ القاهرة هي منطقة المجهود الرئيسي للقوات المسلحة. وينظم الدفاع غرب النيل في منطقتين؛ الأولى غرب القاهرة، والثانية حول الإسكندرية، وتعمل بينهما وحدات خفيفة الحركة من خطوط داخلية، ويحشد الاحتياطي الاستراتيجي في منطقة القاهرة، ويكون مستعداً للعمل من خطوط داخلية إما صوب القناة أو الاسكندرية، وتسانده أكبر معونة جوية ممكنة.

لتحقيق الفكرة قسمت جمهورية مصر ـ عدا مصر العليا ـ إلى قيادات ومناطق عسكرية، لها اكتفاء ذاتي في مناطقها الدفاعية لأطول مدة ممكنة واحتياطي عام للقوات المسلحة، وتشتمل على: القيادة الشرقية (شبه جزيرة سيناء) وقيادة منطقة القناة وشرق الدلتا (مطارات القناة وميناءي بورسعيد والسويس)، وقيادة خليج العقبة (المدخل الجنوبي لخليج العقبة) والقيادة الشمالية (الإسكندرية وغربها ومديرية البحيرة)، وقيادة منطقة القاهرة (مدينة القاهرة وضواحيها)، وقيادة منطقة الدلتا. ولتغطية النقص في القوات، ونظراً إلى اتساع مسرح العمليات وعدم توفر خفة الحركة لكثير من القوات، مع تفوق العدو الجوي، فقد أنشئ جيش التحرير الوطني لتنظيم وقيادة المقاومة الشعبية في أنحاء الجمهورية وتوجيه أعماله لاستمرار السيطرة على المناطق التي تعمل فيها عناصره. وقد نظمت أعمال القوات الجوية والدفاع الجوي، والقوات البحرية وفقاً لخواصها، وفي إطار الفكرة الدفاعية العامة.

ثالثاً: سير العمليات واختلافها عن المخطط وأسباب الاختلاف

١ ـ بدأت العمليات وفقاً للخطة «موسكتير المعدلة النهائية» مساء يوم ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٦ بتنفيذ الخطة الإسرائيلية «قادش» مستغلة انشغال الاتحاد السوفياتي بأزمة المجر، وانشغال الولايات المتحدة بانتخابات الرئاسة، بإسقاط سرية بالمظلات في منطقة «صدر الحيطان» شرق ممر متلا

مع تقدم باقي الكتيبة من الكونتلا لتتصل بها، ولخلق الذريعة لتتدخل بريطانيا وفرنسا ولدفع القيادة المصرية إلى دفع قواتها في سيناء بما يسهل تدمير القوات بواسطة القوات البريطانية والفرنسية. وقامت القوات المصرية بهجوم مضاد. وقد نجحت الخطة الإسرائيلية في توفير الذريعة للتدخل البريطاني الفرنسي، كما نجحت جزئياً في دفع القيادة المصرية للأمر بنقل مركز ثقل الدفاع بدفع الاحتياطي العام الاستراتيجي إلى سيناء، بغرض تدمير القوات الإسرائيلية التي اخترقت الحدود بعد تمسك القوات المصرية المدافعة بمواقعها على المحاور الرئيسية قرب الحدود، خاصة في رفح وفي أبي عجيلة وشرم الشيخ، وكبدت القوات المهاجمة خسائر لم تتوقعها، وكلفت الفرقاطة إبراهيم بقصف ميناء حيفا والعودة بسرعة، وقد حققت الفرقاطة مهمة القصف، ولكنها تعرضت لنيران غير متوقعة من مدمرة فرنسية ثم لمدمرتين إسرائيليتين، ونفدت ذخيرة الفرقاطة إبراهيم وأصيبت ماكيناتها ولم تتمكن القوات الجوية من مساعدتها نظراً إلى تدخل الطيران الفرنسي، وحاولت الإغراق الذاتي، ولكن العدو تمكن من الاستيلاء عليها. ولقد توقف هجوم العدو حتى بدء انسحاب القوات المصرية بعد ستر انسحاب القوات الرئيسية. وصدر الإنذار البريطاني الفرنسي مساء يوم ٣٠ تشرين الأول/ أكتوبر بطلب انسحاب جميع القوات إلى عشرة أميال من القناة والرد خلال ١٢ ساعة، وهو ما رفضته مصر. وكُشف المخطط، وسرعان ما بدأت القيادة المصرية إعادة مركز ثقل الدفاع إلى غرب قناة السويس لمواجهة المجهود الرئيسي للحرب بسحب القوات الرئيسية والاحتياطيات العامة المدرعة من الشرك المنصوب لها، ونقلها إلى منطقتي القناة والقاهرة تحت ستر القوات الأمامية في غزة ورفح والعريش وأبي عجيلة وشرم الشيخ، وانتهى الستر يوم ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦، عدا شرم الشيخ حيث استمر القتال حتى ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، كما قررت القيادة إبعاد الطيران المصري تماماً عن المعركة، نظراً إلى عدم تكافؤ المقارنة وللمحافظة على الطيارين المصريين، وكان عددهم محدوداً. وقررت القوات البحرية إلغاء

مهمة حراسة ساحل غزة ـ العريش وإعادة اللنشات والفرقاطات إلى الإسكندرية ودعم الدفاع عند مدخل القناة الجنوبي بورتوفيق وشرم الشيخ. واستولت مصر على القاعدة البريطانية في منطقة القناة، ونظمت المقاومة الشعبية ضد الاحتلال فيما لو استطاعت قوات الغزو التغلب على القوات النظامية للجيش.

٢ ـ وقد بدأ الجانب البريطاني الفرنسي بتنفيذ الخطة «موسكتير المعدلة النهائية» بتمهيد جوي بالقاذفات ضد القوات المسلحة المصرية والأهداف الحيوية المصرية مساء يوم ٣١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٦ حتى يوم ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر لتغطي الرحلة البحرية من مالطة إلى بورسعيد وتحقيق مهامها. توقعت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل انهيار الجبهة الداخلية المصرية، ولكنها فوجئت بالتماسك الداخلي والثبات العسكري. وقد هاجمت القوات البريطانية الفرقاطة دمياط في البحر الأحمر وتمكنت من إغراقها بعد قيام الفرقاطة بمقاومة بطولية، كما قامت زوارق الطوربيد المصرية بمهاجة سفن بريطانية وفرنسية شرق البرلس وأصابت سفينتين، ولكن طائرات العدو تمكنت من إغراقها فجر يوم ٤ تشرين الثاني/ نوفمبر. وقد حاولت قيادة العدوان تعديل خططها لتفادي الضغط السياسي في الأمم المتحدة لكنها توقفت عند تعديلات تكتيكية محدودة، وبدأ الغزو البحري بإسقاط جوي صباح يوم ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر على كلٍّ من بورسعيد وبورفؤاد، ثم بإنزال بحري في بورسعيد وبورفؤاد يوم ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر في مواجهة مقاومة شديدة، وقد استطاعت قوات الغزو الاستيلاء على مدينة بورسعيد بعد مقاومة شديدة. وبعد أن دمرت الكثير من منشآتها، وتقدمت بصعوبة نحو ثلاثين كيلومتراً جنوباً حتى منطقة الكاب شمال جسر الحرش حيث توقفت تماماً. وكانت القيادة المصرية قد اتخذت قراراً بضرورة تعطيل الملاحة في قناة السويس بإغراق باخرة محملة بالأسمنت معدّة لهذا الغرض وبعض السفن القديمة في عرض المجرى في وقت الضرورة، ونسب إغراقها إلى قوات الغزو، وقد تم ذلك في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦.

رابعاً: التداعيات في البلدان العربية والصديقة

١ ـ اجتاح الغضب قارات العالم ضد العدوان على مصر، وهوجمت منشآت وسفارات بريطانيا وفرنسا في غالبية العواصم الأفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية، وبلغ السخط مستوى عالياً ضد بريطانيا وفرنسا في كثير من البلاد الأوروبية، خاصة في اليونان وإيطاليا وأسبانيا وألمانيا الغربية، وفي لندن نفسها شهدت أعنف مظاهرات عرفتها في تاريخها.

٢ ـ وفي البلاد العربية قامت وحدة هندسية سورية بنسف محطات ضخ البترول السورية، وتوقف ضخ البترول. لم يكن الشعب المصري وحده في المعركة، اشتعلت نيران السخط ضد أطراف العدوان الثلاثي من داكا في بنغلاديش إلى الدار البيضاء في المغرب، وأدانت الجهات الشعبية العدوان، ودعت إلى تأييد مصر، وطالبت بإعادة النظر في العلاقات مع بريطانيا وفرنسا، وهوجمت المنشآت والسفارات البريطانية في كل العواصم العربية والآسيوية والأفريقية وحتى في أمريكا اللاتينية، وهاجم الشعب قطاراً حربياً في عدن، وأشعلوا النيران في الثكنات ومعامل البترول، وقام الفدائيون العرب بنسف آبار المياه وسيارات مدرعة في إسرائيل، واهتز نظام نوري السعيد في العراق نتيجة لنقمة الشعب ضد بريطانيا ما شكل ظاهرة فريدة، وتعرّضت مقار الشركات والبنوك وغيرها من المؤسسات البريطانية في العراق لهجمات متواصلة من جماهير التهبت مشاعرها.

٣ ـ وعرض الرئيس السوري أن يتدخل الجيش السوري لمساعدة القوات المصرية، ولكن الرئيس المصري طلب التنبه لأن سورية مستهدفة في نفس الوقت. وثارت مشاعر الضباط السوريين وأوقف الجيش السوري عمل أجهزة اللاسلكي في محطات ضخ البترول في الأراضي السورية. وقام ضابط مهندس سوري بنسف محطات الضخ، وتوقف ضخ البترول إلى البحر المتوسط. بدأ التأييد يتدفق على عبد الناصر من شتى أنحاء العالم العربي في اليوم التالي، واتصل الملك حسين تليفونياً، وأبلغ بأنه سوف يهاجم إسرائيل، ولكن الرئيس عبد الناصر رجاه ألاّ يفعل، كما أضرب عمال

البترول في كلٍّ من البحرين والسعودية، وأصدر الاتحاد الدولي للعمال العرب قراراً بحرمان الدول المعتدية من بترول العرب وبتعطيل السفن والقواعد والطائرات المعادية حتى لا تُستخدَم ضد مصر؛ وبتوقف الملاحة في قناة السويس، ثم بنسف خط أنابيب البترول إلى سورية ولبنان وليبيا، وتوقف بترول الشرق الأوسط تماماً عن بريطانيا، وعن كل أوروبا الغربية. وتوقف عمال الموانئ في لبنان عن تزويد السفن المعتدية بالوقود، كما منعت تونس دخول سفينة جنود فرنسية إلى تونس.

وتظاهرت الشعوب العربية في كثير من الأماكن مثل الخرطوم في السودان، وبنغازي في ليبيا، وعمان، ونُظم إضراب عام في الجزائر وتونس، وأقبل الأهالي على التطوع في السودان والعراق والسعودية، كما استقال الموظفون العرب الذين كانوا يعملون في إذاعة صوت بريطانيا.

خامساً: الصراع الدبلوماسي

١ ـ شهدت الأمم المتحدة أعنف المناقشات لتصدر قرارات لوقف إطلاق النيران، وكان وزير خارجية الولايات المتحدة يقود الموقف الأمريكي في مجلس الأمن في جلسته يوم ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر، وقد انفضت بدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى دورة استثنائية انعقدت منذ أول تشرين الثاني/نوفمبر حتى يوم ١٠ منه، وكانت الجلسة الثانية للمجلس يوم ٥ من الشهر نفسه، بناء على طلب الاتحاد السوفياتي لتقديم مشروعه بإرسال قوات سوفياتية ـ أمريكية للعمل ضد الغزو. وكان الاتحاد السوفياتي يصدر البيانات ويشارك في مشروعات القرارات ويدين العدوان بكل الوسائل.

وفجأة مساء ٥ تشرين الثاني/نوفمبر وجّه الاتحاد السوفياتي إنذاراً إلى كلٍّ من بريطانيا وفرنسا يطالب بوقف العمليات العسكرية فوراً وبانسحاب القوات المعتدية بدون إبطاء. ويشير بوضوح إلى أن لندن وباريس ليستا بعيدتين عن مدى الصواريخ النووية، كما وجّه إنذاراً إلى إسرائيل متّهماً إياها «بأنها تتصرف إذعاناً لإرادة أجنبية ووفقاً لأوامر من الخارج، وأن

حكومة إسرائيل تعبث على نحو إجرامي غير مسؤول بمصير العالم وبمصير شعبها، وتبذر بذور الكراهية لدولة إسرائيل فيما بين الشعوب الشرقية، وهو أمر لا بد أن يترك آثاره في مستقبل إسرائيل، ويشكّك في وجود إسرائيل ذاته كدولة». وكان للإنذار أثره في بريطانيا، خاصة وأن الرئيس الأمريكي اعتبر أن الإنذار ليس موجهاً ضدّ الولايات المتحدة ولم يتخذ موقفاً مضاداً.

وفي فرنسا حاول رئيس وزراء فرنسا تغيير الموقف الأمريكي فطالبته الولايات المتحدة بقبول وقف إطلاق النيران أولاً. واتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بموجب مبدأ «الاتحاد من أجل السلام» بعد أن استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الاعتراض على القرار في مجلس الأمن وذلك بإيقاف إطلاق النيران، وأن تنتشر قوة طوارئ دولية تابعة للأمم المتحدة للإشراف على وقف إطلاق النيران ومراقبة انسحاب قوات العدوان ثم المرابطة على خطوط الهدنة لمنع تجدد الاشتباكات بين مصر وإسرائيل، وتطهير قناة السويس بمعونة الأمم المتحدة، وإعادتها للملاحة مرة أخرى.

سادساً: إيقاف إطلاق النار وانسحاب العدوان

١ ـ رضخت قوى العدوان لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بوقف إطلاق النيران ابتداء من صباح ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦. وهكذا توقفت أعمال القتال بفشل العدوان في تحقيق أهدافه ومهامه عسكرياً، لكن قوى العدوان ظلت تحاول تحقيق أهدافها بالوسائل الأخرى.

٢ ـ رغم توقف القتال إلا أن مصر لم تتوقف عن تنظيم مقاومة الاحتلال، وجرى خطف ضباط وجنود من قوات العدوان بمعرفة المقاومة عن طريق ضباط وجنود المخابرات والصاعقة المصرية مرتدين ملابس مدنية، والبعض الآخر مقاومة شعبية بحتة بتوجيه ومساعدة عسكرية، وأكدت مصر أنها أوقفت النيران، ولكنها لا تستطيع أن تمنع الشعب من مقاومة قوات العدوان.

٣ ـ عادت الولايات المتحدة إلى التنسيق مع بريطانيا وفرنسا بعد إيقاف إطلاق النيران حيث كانت تتفق معهم في الأهداف وتختلف معهم فقط في وسائل تحقيق هذه الأهداف.

٤ ـ حاولت قوى العدوان تحقيق استعادة السيطرة على قناة السويس بتقديم بعض المعدات البريطانية التي شاركت في العدوان للمساهمة في تطهير القناة وبالعمل على تحقيق الحرية في عمل الجنرال هويلر (أمريكي متقاعد) المساعد الفني للسكرتير العام للأمم المتحدة والمشرف على عملية التطهير بدون تنسيق مع هيئة قناة السويس، ولكن مصر أصرت على أن عملية التطهير يجب أن تتم بالتنسيق مع الهيئة. كذلك حاولت تدويل القضية من خلال إشراك قوات كندية في قوات الطوارئ الدولية وهي ترتدي نفس زي القوات البريطانية التي شاركت في العدوان، وكتيبة باكستانية حيث رفضت مصر اشتراك قوات من أي دولة من دول حلف الأطلسي ودول حلف بغداد في هذه القوات.

حاولت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بكل الوسائل تعطيل جلاء القوات البريطانية والفرنسية عن بورسعيد، وفكرت في خطط كثيرة لتعطيل الانسحاب، منها إدعاءات بأعمال مسلحة، وخطف جنود وضباط من القوات البريطانية والفرنسية.

٥ ـ حدّد الرئيس جمال عبد الناصر الخطوط العامة للسياسة المصرية بعد إيقاف إطلاق النيران بأن المواقف السابقة على العدوان لحل المشكلة سلمياً لم تعد صالحة نظراً إلى أن العدو رفض الحلول السلمية، وأنه يجب الاستعداد للمطالبة بتعويضات عن الخسائر المصرية نتيجة للعدوان، وأن مصر يجب ألاّ تتساهل بعد العدوان على نحو ما حدث قبل العدوان، وأن على مصر أن تتشدد في مطالبها، وأن تظل خطوط السياسة السابق ذكرها سرية وإنما تدور المناورات حولها.

وكان سلوين لويد قد حدّد تاريخ ١٤ كانون الأول/ ديسمبر لإتمام الانسحاب، ثم طلب التأجيل ليوم ٢٠، وفي مساء يوم ٢٢ من الشهر نفسه،

أتمّت قوات الطوارئ الدولية تسلّم بورسعيد، وفي اليوم التالي عادت القوات المصرية إليها.

٦ ـ حاولت إسرائيل الاحتفاظ بسيناء وغزة من خلال علاقاتها مع الولايات المتحدة، ولكن الرئيس الأمريكي أيزنهاور طالب بتحديد المطالب الأمنية وقد انحصرت في: فتح قناة السويس للملاحة الإسرائيلية، وإنهاء السيطرة المصرية على خليج العقبة، وعدم عودة مصر سواء بإدارتها أو بقواتها المسلحة إلى قطاع غزة. واقترح جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي إنشاء قوة بحرية مشتركة تابعة للأمم المتحدة تتولى حرية الملاحة في مضايق العقبة وقناة السويس، لكن داغ همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة رأى أن السيطرة عليها «ستكون نزاعاً بين القوى البحرية يصعب التحكم فيه».

جرت مفاوضات حول الأوضاع بعد انسحاب قوات العدوان، اشتمل على محاولة منح حصانة دبلوماسية لقيادة قوات الطوارئ الدولية وضباطها، وهو ما رفضته مصر، لأن هذه القوات ليست لها صفة بعثة دبلوماسية، وعدم جواز سحب قوات الطوارئ من مواقعها إلا بموافقة مجلس الأمن، وهو ما اعتبرته مصر شبه احتلال دولي ورفضته، والسماح لإسرائيل باستعمال قناة السويس، وعزل القناة عن سياسة مصر، وأصرّت مصر على سيادتها عليها، وحول انسحاب إسرائيل من غزة، ومرور السفن الإسرائيلية في خليج العقبة. كذلك جرت محاولات لفصل مصر عن محيطها العربي، وهو ما قاومته مصر بالتحرك النشيط مع أمّتها العربية.

٧ ـ بدأت إسرائيل انسحابها من سيناء تحت ضغوط عالمية واستعداد عسكري مصري بعد تعويض خسائرها في الحرب في أواخر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٦، وحاولت المماطلة في الانسحاب من سيناء. واجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة ودعت إسرائيل إلى تنفيذ قراراتها السابقة بسحب قواتها خلف خطوط الهدنة بدون تأخير، ومطالبة مصر وإسرائيل باحترام اتفاقية الهدنة ١٩٤٩. وفي ٢٠ شباط/ فبراير طلب أيزنهاور سحب

إسرائيل قواتها في أسرع وقت ممكن، ووافقت مجموعة من القوى البحرية بإصدار بيان يضمن حرية مرور السفن الإسرائيلية في خليج العقبة ومضايق تيران، واكتمل الانسحاب من سيناء في أول آذار/ مارس ١٩٥٧، غير أن إسرائيل عاندت في الانسحاب من غزة، لكن الرئيس الأمريكي قدر أن بقاء القوات الإسرائيلية في غزة سوف ينسف مشروعه في الشرق الأوسط، ولكنه سلم إسرائيل مذكرة تؤكد حق إسرائيل في المرور البريء من مضايق العقبة، كما أكد أن القوات المصرية لن تعود إلى سيناء، وتقدمت فرنسا بمشروع لوضع سيناء تحت الإشراف المباشر للأمم المتحدة، وطلب السكرتير العام للأمم المتحدة أن تظل القوات المصرية بعيدة عن قطاع غزة، وأنه حسب معلوماته فإن سكان القطاع لا يؤيدون عودة القوات المصرية، وفي اليوم التالي اجتاحت قطاع غزة كلّه مظاهرات مؤيدة لمصر مطالبة بعودة الإدارة المصرية، ثم وصل الحاكم المصري الجديد اللواء حسن عبد اللطيف إلى قطاع غزة، ولم تستطع قوات الطوارئ الدولية أن تقاوم عودة القوات المصرية إلى القطاع، رغم احتجاجات وزراء خارجية الولايات المتحدة وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا.

٨ ـ بعد انسحاب إسرائيل من الأراضي المصرية وقطاع غزة والعقبة يوم ٦ آذار/ مارس ١٩٥٧ حاول الرئيس أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة في ١٨ آذار/ مارس ١٩٥٧ الضغط على الملك سعود ملك العربية السعودية للتوسط لدى الرئيس المصري جمال عبد الناصر لكي يقبل بتعديلات أمريكية تريد الولايات المتحدة إدخالها على الضمان المصري المنفرد بحرية الملاحة في قناة السويس، وكانت تريد العودة إلى النقاط الست الصادرة من مجلس الأمن يوم ١٣ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٦، وقد قدمت مصر مذكرة عن وجهة النظر المصرية في رفض التحفظات الأمريكية، وأبلغتها لكلٍّ من العربية السعودية وسورية والأردن.

٩ ـ استقال أنتوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا الذي قاد العدوان من رئاسة الحكومة في ١٤ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٧ واعتزل الحياة السياسية تماماً.

أما بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل فقد اعتزل الحياة السياسية حيث قال إنه «ظهر في مصر فرعون جديد ولا يجد في أعماقه قوة موسى الذي قاد شعبه إلى الخلاص».

ولم ينقض عام حتى قام الجيش الفرنسي بانقلاب، وسقطت الجمهورية الفرنسية الثالثة كلها في باريس، وعاد الجنرال ديغول إلى السلطة.

وهكذا انتهى العدوان الثلاثي على مصر بهزيمة قوى العدوان، واحتفاظ مصر بسيادتها كاملة، وفشل قوى العدوان في تحقيق أيٍّ من أهدافها.

سابعاً: المبادئ التي طُبِّقت، والتي أهمل تطبيقها

١ ـ وضوح الهدف والمحافظة عليه

كان الهدف واضحاً لدى القيادة المصرية بحيث لم ينجح العدو في سحبها إلى أهداف أخرى. هكذا لم يكن توقف بعض السفن عن دفع الرسوم سبباً في توقف الملاحة أو منعها من المرور، وقد أدركت القيادة المصرية الشرك المطلوب استدراج القوات المصرية فيه لإبعادها عن المعركة الرئيسية وهدفها، وهكذا أمرت بسحب الثقل الرئيسي للقوات وسحب القوات الساترة في سيناء في ظروف غير مواتية. في المقابل كان من الصعب على قيادة العدوان تحديد هدفها حيث توزع بين استعادة السيطرة على القناة والقضاء على الرئيس عبد الناصر في حين لم يكن لديها البديل.

٢ ـ خضوع الاستراتيجية العسكرية للسياسة

خضعت الاستراتيجية العسكرية للسياسة، حيث تحدد أسلوب التركيز على الدفاع عن المناطق والأهداف الحيوية في منطقة القناة والدلتا والقاهرة، وبالاستعاضة عن نقص القوات باستغلال وحدات جيش التحرير الوطني. كذلك فإن السياسة قامت بالتنسيق بين العمل الدبلوماسي من خلال الأمم المتحدة والاتصالات المباشرة وأعمال القوات المسلحة، وقد برز ذلك

بوضوح فيما يتعلق بحرية الملاحة في القناة وخضوعها للإدارة المصرية، وبالعلاقة مع قوات الطوارئ الدولية.

٣ ـ الحشد في اتجاه المجهود الرئيسي

حقّق الجانبان مبدأ الحشد حيث حشد العدوان جهوده في اتجاه بورسعيد ـ الاسماعيلية ـ القاهرة، وحشدت القوات المصرية جهودها لمنع العدو من الاختراق في نفس الاتجاه مع الدفاع بقوات ثانوية في الاتجاهات الأخرى، وحشد العمل الدبلوماسي جهوده الرئيسية في الأمم المتحدة مع السكرتير العام والمندوبين مع استمرار التنسيق، مع أكبر قدر من الدول، مع عناية خاصة للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

٤ ـ المفاجأة

حقق العدوان مبدأ المفاجأة التكتيكية والتعبوية بإخفاء وقت وطبيعة الهجوم والعلاقة مع إسرائيل، ولكنه لم يستطع استغلالها بشكل مؤثر لسرعة اكتشاف القيادة المصرية طبيعة التآمر، بينما حققت مصر المفاجأة بثبات شعبها وكفاءة استبسال قواتها المسلحة، رغم تفوق العدو الحاسم، كما فاجأت المقاومة في بورسعيد قوى العدوان.

٥ ـ الاقتصاد في القوى

احتفظت مصر بالقوات الجوية حفاظاً على الطيارين، وحاولت سحب أكبر قدر من القوات الساترة في سيناء، وطلبت عدم اشتراك قوات سورية وأردنية حفاظاً عليها، ونظراً إلى تقدير ضعف فرص تأثيرها.

٦ ـ المبادأة والعمل الهجومي

حقّق العدوان المبادأة بالبدء في الهجوم وبالتفوق العددي والتكنولوجي، ولكنه لم يستطع المحافظة عليها، بينما حققت مصر المبدأ باستمرار المقاومة النشيطة حتى في مواجهة التفوق وبعد احتلال بورسعيد.

٧ ـ حماية الأهداف الحيوية

تركز الدفاع المصري للدفاع عن الأهداف الحيوية السكانية والاقتصادية والإدارية في القاهرة والدلتا بما يتمشى مع قدراتها العددية والنوعية.

ثامناً: الدروس المستفادة

خرجت مصر من العدوان وقد استفادت منه بدروس راعتها في الفترة التالية، وإن كانت لم تستطع الاستفادة منها إلا عام ١٩٧٣:

● أهمية تضامن الشعوب في مواجهة قوى الاستعمار، وقد أدى ذلك إلى الاهتمام بالمنظمات الشعبية وغير الحكومية الخاصة بمقاومة الاستعمار مثل مؤتمر السلام العالمي ومنظمة تضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية.

● ضرورة تطوير العلم العسكري واكتساب الخبرة في ضوء تطور الأسلحة والمعدات وإعادة تنظيم القوات المسلحة، ولقد تحقق هذا عن طريق إرسال بعثات عسكرية ومدنية كثيفة إلى الخارج والاستعانة بالخبراء، وكان نصيب الاتحاد السوفياتي ودول حلف وارسو الأكبر، نظراً إلى طبيعة علاقات مصر معها، في حين كانت العلاقات مع الغرب تمر بأزمات.

● بدا أن التشكيلات شبه النظامية كبيرة العدد قليلة الفاعلية، بينما التشكيلات الصغيرة المدربة أقدر على تحقيق المهام، مما أدى إلى حل جيش التحرير الوطني وأغلب تشكيلات الحرس الوطني، بينما تضاعف حجم قوات الصاعقة.

● برزت أهمية القوات الجوية على نحو غير مسبوق ما استدعى اهتماماً بتطويرها كمياً ونوعياً، في حين ظهرت الحاجة إلى التنسيق بين القوات الجوية والدفاع الجوي، ولذلك تحولت قيادة القوات الجوية إلى قيادة للقوات الجوية والدفاع الجوي.

● وضحت ضرورة اندماج الوحدات والوحدات الفرعية المتخصصة

في وحدات وتشكيلات القتال بحيث أصبحت هناك تشكيلات أسلحة مشتركة من المشاة والمدرعات، لديها حد أدنى من التكامل والاكتفاء الذاتي بدلاً من إلحاق وحدات عند الضرورة يصعب اندماجها.

المراجع

الجولة العربية الإسرائيلية الثانية، خريف ١٩٥٦ . القاهرة: دار الدفاع للصحافة والنشر، ٢٠١٠ .

شعبة البحوث العسكرية، القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة. **حرب العدوان الثلاثي على مصر خريف ١٩٥٦**. القاهرة: إدارة المطبوعات والنشر، ١٩٦٥. ٢ ج.

ج ١ : **دراسة سياسية، استراتيجية، تعبوية**. تقديم مشير محمد عبد الحليم أبو غزالة.

ج ٢ : **دراسة تعبوية تكتيكية**. القاهرة: إدارة المطبوعات والنشر ١٩٩٤.

هيكل، محمد حسنين. **ملفات السويس**. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٦.